

عون... الكاهن المقاوم

عدسة ملتصقة بهموم الناس

الذي كان يعدّه عن الزعيم الراحل أنطون سعادة، إذ هزّه ما حدث في العاصمة اللبنانية مع الإحتياح الإسرائيلي لها. لذا، قرر أن يقاوم على طريقته، أن يحمل كاميرته ويدور في الشوارع التي كانت مكتظة بالناس عادة لتسجيل مدينة أشباح إبان إحتلالها. صور - بعين الفلسطيني - «الدياسبورا الفلسطينية الحديثة» (رحيل المقاتلين في البواخر باتجاه تونس وعدن) عن بيروت التي عشقها الفلسطينيون أكثر من غيرها. أكمل رحلته الخطرة ليكون أول من صور مجزرة صبرا وشاتيلا وأزخها للذاكرة. هو ظل مفتوناً بالذاكرة، محاصراً لها، خصوصاً ذاكرة الحرب. لاحقاً، سيستعيد الذاكرة من خلال «أحلام معلقة» (1992) الذي ركّز فيه على السيدة وداد حلواني التي خطف زوجها إبان الحرب ولم يعد. في الإطار عينه ولكن في اتجاه مختلف، قدر شمعون النساء المناضلات. بعدما قارب نضالات حلواني، تناول أيضاً نضالات الأسيرة الفلسطينية المحررة كفاخ عفيفي، والشاعرة فدوى طوقان (من الشاعرات الفلسطينيات الأول)، وسميحة الخليل (إحدى رائدات المقاومة الاجتماعية والشعبية ضد الصهاينة) فكان فيلم «أرض النساء» (2004).



عبد الرحمن جاسم

غريباً أن يرسل جان شمعون بلا صخب أبداً. الشاب القادم من قرية سرعين البقاعية، جذبت المدن الكبيرة والعدسة الصغيرة في آن معاً، فقرر أن يكون مخرجاً في زمن عز فيه المخرجون الذي يحافظون على بوصلتهم على الرغم من ضياع البوصلة الأم. هو تخرّج من باريس عاصمة الأنوار (أكمل دراسته في «جامعة باريس الثامنة» و«معهد لوي لومبار»)، ودار عواصم الأرض، يقول كلمته كما يحبها أن تكون، فقدم أفلاماً هزّت أفئدة وضمائر. في العام 1976، قدّم وثائقي «تل الزعتري» (بالاشتراك مع مصطفى أبو علي وبيدو أديانو) الذي يقارب المجزرة التي طالبت ذلك المخيم الصغير الواقع في قلب ما كان يعرف باسم «المناطق الشرقية» آنذاك. قد يبدو الكلام ههنا شاعرياً، لكن ميزة جان شمعون أنه في الوقت الذي بدأت كاميرات الآخرين بالتوجه صوب الخليج و«ماله ورؤيته» في تفسير الهزائم وتبريرها، قرر شمعون أن يكون ساجداً عكس التيار، فظل على احترافيته ومهنيته. والأصدق من ذلك بوصلته التي لم تفارق فلسطين.

«طيف المدينة» وصيته للجيد الجديد

إنتاج البرنامج الإذاعي الساخر «بعدنا طيبين قولوا لله». عزز البرنامج قيمة زياد الثقافية/السياسية بعيداً عن المسرح، وقدّم شمعون بصفته مخرجاً ماهراً. ولا ريب أن الأمر صقلها معاً. «كان المقاتلون على المحاور وخطوط التماس يوقفون إطلاق النار أثناء بثّ البرنامج للإصغاء إليه، لهذا قمنا بالبرنامج قبل أي شيء» بهذا أسرّ شمعون في مقابلة تلفزيونية معه مرة. في العام 1982، أوقف تصوير فيلمه

لاحقاً تعرّف بمي المصري، زوجته الفلسطينية التي انتظر 15 عاماً حتى يجدها. هو كان يشير إلى أنه يعيش حياته «العازبة»، وظل كذلك حتى التقاها، فتزوجا مدنياً، وأنجبا طفلين، وعدداً كبيراً من الأفلام المشتركة: «تحت الأنقاض» (مؤرخاً للحرب الأهلية وفضائنها - 1982)، «زهرة القندول» (قصة حياة المناضلة اللبنانية خديجة حرز - 1985)، «بيروت جبل الحرب» (1989)، «أحلام معلقة» (1992)، «يوميات بيروت» (2006).

كان لافتاً أسلوب عملهما معاً، إذ بدا مختلفاً عن عمله وحده، أو عملها هي وحدها. بدا أنّ هناك نوعاً من «الفهم» الضمني بينهما... تفاهم يبدو أقرب إلى اللا كلام، فالصورة أشد بلاغة بالنسبة إلى المخرج. كان عام 2000 بالنسبة إلى لبنان إنتصاراً كبيراً، إذ رحل العدو الصهيوني عن أرضه بشكل شبه كلي، وكان كبيراً كذلك بالنسبة إلى جان شمعون، إذ حقق فيلمه الروائي الأول «طيف المدينة». الشريط الذي انتظر طويلاً كي يقدمه للجمهور، جاء خلاصة تجربة كبيرة، وكان ناجحاً ومذكراً بأولويات السينما لمن لم يعرفوا سينما لبنانية بعيداً عن سينما «الصالونات» و«الاستهلاك». قدّم شخصيات رافقته خلال حياته، قارب فيها ما يريد قوله حول الحرب والسلام، والحياة والموت حتى. يومها، أبدعت كريستين شويري في تقديم المرأة التي خطف زوجها وظلت باحثة عنه. إنه نوع من «التاريخ» لشخصية وداد حلواني، التي استوحى منها «الشخصية» التي أدتها شويري. كان شمعون يريد تاريخ الحرب كي ترى الأجيال الأصغر سناً ماذا تعني الحرب، والدمار الذي ألحقته بالناس، سواء على صعيد البشر أو الحجر. إنها رسالة شمعون لأجيال مستقبلية مع بداية القرن الجديد.

رحل جان شمعون، صاحب الرؤية الشعبية في السينما اللبنانية الذي كان يصر على أن السينما إن لم تكن «ملتصقة» بهموم الناس وواقعهم ومشاكلهم اليومية، فهي «ليست بسينما».



مرّة الحرب الأهلية

عمله الروائي الطويل والوحيد «طيف المدينة» عام 2000، كان جامعاً لكثير من القصص القصيرة التي عاشها شمعون مع أبطال أفلامه التسجيلية. قضية المخطوفين أو قضية المفقودين وذويهم، المقاتلون، الأطفال، الأمهات. اقترب من هذه الشخصيات في «أحلام معلقة» (1992)، و«بيروت، جبل الحرب» (1989). وهذان العملان خاصان جداً في عرض يوميات الحرب الأهلية، ومعالجة تأثيرها على كل فرد على حدة. الأول يوثق التساؤلات والمشاعر الأولى في الفترة التي

سياراتهم، ينتقلون من الشارع إلى عالم الأعمال والمشاريع. إضافة إلى الأعمال العديدة التي أخرجها، فهو أنتج أعمالاً أخرجتها رفيقة دربه مي المصري منها «أطفال شاتيلا»، و«أحلام المنفى»، «بيروت حقائق وأكاذيب». يمكن النظر إلى أفلام جان شمعون على أنها أداة لإنعاش الذاكرة. هي مدخل لإستكمال التوثيق والنقاش حول العديد من القضايا والأحداث التي حصلت في لبنان، وطبعت حقبه من ذاكرة أبنائه وما زالت آثارها ظاهرة على واقع البلد وراهنه.

يُصَلّي عن راحة نفس السينمائي الراحل جان شمعون يوم السبت 12 آب/ أغسطس الجاري في كنيسة مار تقلا الحازمية، عند الحادية عشرة قبل الظهر. وتُقبل التعازي قبل الدفن وبعده في صالون الكنيسة. كما تُقبل التعازي يوم الأحد 13 آب/ أغسطس في «جمعية خرجي الجامعة الأميركية» - الوردية، بيروت، بين العاشرة صباحاً والسابعة مساءً.

أكثر هن صور المرأة وحالتها في خضم الأحداث

أعقبت إعلان انتهاء الحرب ووقف إطلاق النار وفتح المعابر، ومباشرة إعادة الإعمار. كان جان شمعون وفياً لجميع هذه القصص ولأبطالها في فيلم «طيف المدينة». حتى إنه عالج الجانب الفاسد للحرب، والزعماء، والتصفيات، والصفقات على حساب الناس. اختتم فيلم «طيف المدينة» بمشهد جولة لأمرء الحرب في